

البرهان في علوم القرآن

سياق تعجيز الشركاء عن الخلق والمشاركة وأمر الأرض في ذلك أيسر من السماء بكثير فبدأ بالأرض مبالغة في بيان عجزهم لأن من عجز عن أيسر الأمرين كان عن أعظمهما أعجز ثم قال سبحانه إن ¹ا² يمسك السموات والأرض أن تزولا 1 فقدم السموات تنبيها على عظم قدرته سبحانه لأنه خلقها أكبر من خلق الأرض كما صرح به في سور المؤمن² ومن قدر على إمساك الأعظم كان على إمساك الأصغر أقدر .

فإن قلت فهلا اكتفى من ذكر الأرض بهذا التنبيه البين الذي لا يشك فيه أحد . قلت أراد ذكرها مطابقة لأنه على كل حال أظهر وأبين فانظر أيها العاقل حكمة القرآن وما أودعه⁹ من البيان والتبيان تحمد عاقبة النظر وتنتظر خير منتظر . ومن أنواعه أن يقدم اللفظ في الآية ويتأخر فيها لقصد أن يقع البداء والختم به للاعتناء بشأنه وذلك كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين أسودت وجوههم³ . وقوله وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها⁴ إلى قوله قل ما عند ¹ا² خير من اللهو ومن التجارة⁴ .

وكذلك قوله إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون⁵ فإنه لولا ما أسلفناه لقليل ما تكتمون وتبدون لأن الوصف بعلمه